# الوظائف الاقتصادية للأسرة فى المراحل الأولى من التكوين

**ا.د.مهنى محمد ابراهيم غنايم**
**كلية التربية – جامعة المنصورة – مصر**

**فى موسوعة الأسرة، الجزء الرابع (الباب السادس–الفصل الرابع) الديوان الأميرى،دولة الكويت برعاية مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ،الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ–٢٠٠٧ م**

مقدمة

يعنى الاقتصاد ببساطة تدبير شئون البيت ، ويعنى توفير المال ، ويعنى الاستخدام الأمثل للموارد المادية وغير المادية. وكل هذا المعاني مهمة أساسية من مهام الأسرة تعكس بعض الوظائف الاقتصادية للأسرة .

والوظائف الاقتصادية للأسرة عديدة تبدأ بتوفير المال من خلال الجد والسعي والعمل واستثمار المال والحفاظ عليه وإنفاقه في آن واحد .

والتنمية الاقتصادية هي اليوم موضوع الساعة والشغل الشاغل للساسة والمخططين ، ومع ذلك لم يكن الاهتمام بدراستها إلا حديثا ، في حين نجد أن الإسلام ، ومنذ أربعة عشر قرنا من الزمان قد أولى قضية التنمية عناية فائقة واهتماما خاصا .

والتنمية في ظل النظام الاقتصادي الاسلامى . فرض وضرورة ، حيث تستهدف تحقيق رقى الإنسان من خلال العمل لتحقيق مزيد من الدخل ومن عناصر القدرة الاقتصادية إلى جانب مشاركة الدولة في إشباع الحاجات الأساسية لغير القادرين وتوفير الاستقرار والأمن الاقتصادي . وينظر الإسلام إلى التنمية نظرة شمولية ، تجمع بين تطور كل من الأرض والموارد الطبيعية والإنسان

وتتعدد وظائف الأسرة وتشمل الوظائف البيولوجية والثقافية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية . وفيما يتعلق بالوظيفة الاقتصادية للأسرة فهي وظيفة مستمرة تختلف صورها وأساليبها وأهدافها في الماضي والحاضر ، وهى ترتبط بكل الوظائف الأسرية الأخرى تؤثر فيها وتتأثر بها .

وفيما يتعلق بالوظيفة الاقتصادية ، فهي وظيفة مستمرة تختلف صورها وأساليبها وأهدافها في الماضي والحاضر وربما في المستقبل ، حيث مع التطور في الوظيفة الاقتصادية للأسرة تظهر مسئوليات ومهام وحرف جديدة يقوم بها البعض من أفراد الأسرة دون البعض الأخر ، وتلك حكمة الله في الخلق ليعتمد بعضهم على بعض دون استغناء عن أحد .

ووظيفة الأسرة اقتصاديا في المجتمع لا تعنى أن المسألة هي رأس مال وإنتاج واستهلاك وتملك وأرصدة في البنوك .... الخ وإنما المسألة هي مسألة موقف من الحياة بجوانبها المتعددة ، تترتب عليه إجراءات محددة ، تتم في تعامل الإنسان المسلم مع عناصرها أو جوانبها المتعددة بما فيها الجانب الاقتصادي ، حيث لم يغفل الإسلام قيمة الجانب المعيشي في حياة الأسرة بإقتصادياته وضروراته في حياة الفرد وحياة الجماعة .

وتعتبر الوظائف الاقتصادية للأسرة فى المراحل الأولى من التكوين قضية فى غاية الأهمية والخطورة في آن واحد.

ويمكن تناول هذه القضية من خلال الأبعاد التالية:

- وظيفة الاستهلاك في مراحل تكوين الأسرة
- وظيفة الادخار في مراحل تكوين الأسرة
- وظيفة الإنتاج في مراحل تكوين الأسرة

**أولا : وظيفة الاستهلاك في مراحل تكوين الأسرة:**

يشهد الواقع الاجتماعي العربي صورا عديدة لسلوكيات خاطئة ترتبط بالإنتاج والاستهلاك (وهما قوام عملية الاقتصاد) تعكس قصورا في أنماط التربية (في الأسرة ومؤسسات التعليم) من حيث مسئوليتها عن تربية اقتصادية توجه سلوك الفرد توجيها سليما في التعامل الاقتصادي خاصة فيما يتعلق بعمليتي الإنتاج والاستهلاك .حيث تنتشر عادات استهلاكية كثيرة خاصة بين الشباب في المأكل والملبس وأدوات الزينة والجرى وراء الجديد المستورد والتقليد الأعمى في اقتناء الملابس وامتلاك وسائل الترفيه كالموبايل ( المحمول ) أو الخلوي أو الجوال .... وكذلك فى امتلاك السيارات مما يدفع بالشباب إلى ضياع الوقت والمال والجهد فيما لا طائل منه .

أضف إلى ذلك إصرار الأفراد ( خاصة الشباب ) على اقتناء الأجهزة الحديثة ( خاصة الكمبيوتر ، وقد تكون له فوائد عديدة حال استخدامه الاستخدام الأمثل ) وما يرتبط بها من مواد أخرى تعليمية أو للتسلية ... ، مما يتيح للشباب الدخول على المواقع المختلفة فى شبكة المعلومات ( الإنترنت ) وقد تكون هذه المواقع مخلة بالآداب والذوق العام ، ويترتب على هذا إهدار طاقات الشباب وعجزه عن الدراسة وتحصيل العلم علاوة على تحطيم الأخلاق

ولا شك أن الآثار المترتبة على الإنفاق الهائل ، دون جدوى ذات مردود سلبى على التماسك الاجتماعى بين أبناء الأمة ، فما من أمة اجتمع لها من المتناقضات مثلما اجتمع للأمة الإسلامية ، فبين ربوعها تسيل الأموال أنهارا ، وعلى أرضها الخصبة تنبت أشواك الفقر الموحشة ، وبينما أسبغ الله عليها من النعم الكثير ، وحباها بالخير الوفير ، تمتد أيادى البعض لتبعثر خيراتها ذات اليمين وذات الشمال بين لهو ولعب وإسراف وتبذير ، على حين تمتد أيادى أخرى لتتسول لقمة العيش من الشرق أو الغرب أعطوها أو منعوها . هذه التناقضات العجيبة والصور المستفزة للاستهلاك والإنفاق بغير ضوابط أوغرت الصدور وأضعفت الروابط وصنعت جدارا صلبا من العزلة بين أبناء المجتمع الواحد وقوضت من دعائم الأمة الشامخة

ووظيفة الاستهلاك فى مراحل تكوين الأسرة تستدعى قيام الأسرة بوظيفتها فى هذا الأمر ، ولعل الدور الأكبر للأسرة يظهر فى الأولويات التى يجب أن يتعلمها جميع أفراد الأسرة فى مرحلة التكوين.

ويرتبط مدخل الأولويات –فى التكوين الأسرى – بمفاهيم عديدة منها القصد والاعتدال وتجنب الاسراف فى الهدايا والملابس والحفلات ووسائل الترفيه ... الخ .

فالقصد والاعتدال وتجنب الاسراف من مبادئ الاسلام الحنيف،حيث يدعو الى التوسط والاعتدال فى كل شئ " يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين " . " والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يفتروا وكان بين ذلك قواما

والاسلام يكره الاسراف فى كل شئ ، وينهى عن التبذير فى المال بوصفه جريمة تبدد النعم فى غير نفع وتجلب كثيرا من الخطايا والمآثم ، ولذا فإن منهج الانفاق فى الاسلام منهج وسط " ولا تجعل يدك مغلومة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ".

ويحرم الاسلام على المرء أن يسرف فيما اكتسبه من حلال ، والسرف فى الطعام انواع : من يأكل فوق الشبع ، ومن يرمى طعاما زاد عن حاجته ، ومن يترك من الطعام ما سقط من يديه وهكذا، وكذلك التفاخر والتباهى فى تقديم انواع شئ من الطعام فى الولائم والحفلات وغيرها مما حرمه الاسلام ونهى عنه .

الضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكى ، ومن اهم هذه الضوابط :

- الانفاق فى الحلال المباح شرعا : " يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ".

الانفاق فى الطيبات والاعتدال فى الانفاق

- الالتزام بسلم الأولويات الاسلامية : الضروريات . الحاجيات . التحسينات .
- تجنب الاسراف واللتقتير والتبذير .
- تجنب النفقات الترفيهية والمظهرية والتقليدية والبدع المخالفة لشرع الله .

تجنب التعامل مع اعداء الدين والوطن

ان الأسر المسلمة فى تعاملها الاقتصادى يجب ان تضع فى اعتبارها اللوازم الخمس (حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال) ولا يعنى هذا الاستغناء عن اى من هذه اللوازم الخمس ، فكلها مطلوبة ولكن اهميتها متفاوته تبعا لدورها فى تحقيق طاعة الله وعمارة الدنيا للاخرة .

## ثانيا:وظيفة الادخار فى مراحل تكوين الأسرة

ان من دواعى ومبررات القول بأهمية مراعاة وظيفة الادخار فى مراحل تكوين الأسرة ، تلك مظاهر البذخ والانفاق (فى غير موضعه) فى عالمن العربى والاسلامى، فما يتخلف عن موائد الطعام . على سبيل المثال . فى بعض الدول العربية المسلمة ، يكفى لسد رمق جوعى المسلمين ، وان ما ينفق بسفه فى المحافل وعلى مظاهر العظمة والفخر والأبهة ، كفيل بتحقيق نهضة تنمويه كبرى للقضاء على شبح البطالة الذى يهدد شباب المسلمين

وقد فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان على ألا يعيش لنفسه وحدها ، وجعل هذا العيش بالغير وللغير جزءا من مفهوم الاستخلاف في الأرض ، ويتسع هذا (الغير) في الإسلام ليشمل غير الإنسان أيضا ، على نحو ما ورد في قول المصطفى (ص) :

" ما من مسلم يغرس غرسا ، فيأكل منه إنسان أو دابة ، إلا كان له به صدقة "

ويفتح الإسلام باب الخير وحبه وممارسته لكل مؤمن به ، وسائر على نهجه مهما كانت قدراته وإمكانياته ، تمكينا لكل إنسان أن يجعل الخير وجهته

وكذلك شرع الاسلام مجموعة من الوسائل التى تؤدى الى ترشيد الانفاق ومنع التقتير والاسراف والتى يجب ان تتمثلها الأسرة المسلمة فى سلوكها العام وتضعها الأسرة نصب أعينها فى مراحل تكوينها،من هذه الوسائل ما يلى :

- حسن ادارة الأموال بأقصى درجات الرشد الاقتصادى .
- النهى عن الانفاق المظهرى (غير المشروع) .
- الصوم ابتغاء مرضاة الله وطمعا فى محبته
- الاعتدال فى الانفاق وترشيده .

ولاشك أن تعليم الصغار منذ نعومة أظفارهم مبادىء الادخار وأهميته وعائده على الفرد والأسرة والمجتمع،يعتبر من أهم المبادىء الدينية الاسلامية التربوية التى سيكون لها الأثر العظيم فى تكوين النشىء وتربيتهم تربية دينية اسلامية صحيحة فى هذا الجانب الهام من حياة الأسرة فى المراحل الأولى للتكوين

ثالثا : وظيفة الانتاج فى مراحل تكوين الأسرة

والعمل واجب لمواجهة متطلبات الحياة ، وقد وضع الإسلام قواعد عامة للعمل فعنى بتنظيمه وتوزيعه والاعتدال فيه وتحرى طرق الحلال عملا وإنتاجا " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "

ويقول المصطفى (ص) : أن الله يحب المؤمن المحترف ، وقد كان لكل من الأنبياء عليهم السلام حرفة يعيش بها ، فكان إدريس خياطا ، وكان نوح وزكريا نجارين ، وكان هود وصالح تاجرين ، وكان إبراهيم زارعا ، وكان محمد (ص) في بيته يغلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ، ويحمل بضاعة من السوق .

والعمل الذي ينتج الكسب الحلال هو أفضل السبل للنهوض بالصناعة والزراعة والتجارة وكل المهن في المجتمع ، وعلى كل إنسان مرحلة من مراحل الإنتاج ، عليه أن يجودها ويحسنها ويرقى بمستوى أدائها وهذا ما حث عليه الإسلام في قول الرسول (ص) : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "

والوظيفة الاقتصادية للأسرة تعكس دورها الهام فى تربية افرادها على الانتاج والمزيد من البذل والعطاء ، خاصة فى المراحل الأولى من التكوين. ويدخل فى هذا الجانب عمل المرأة فى بيتها والتى تعتبر طاقة مدخرة للامة الاسلامية ، حيث توجه الابناء وتغرس فيهم القدوة وقيم العمل والانتاج .

وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها عن المرأة التى تعمل وتمارس نشاط الانتاج : "المغزل فى يد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد فى سبيل الله " فكما ان الاسلام دعا الرجل للعمل ، رغب المرأة كذلك فيه ، ولها أن تمارسه اذا دعت الضرورة– فيما يرى الكاتب . مادامت محافظة على وقارها ملتزمة بالحشمة غير جالبة ضررا لاسرتها .

وقد جعل الاسلام الأصل فى علاقة السلوك الاقتصادى (الانتاجى . الاستهلاكى) بين الأسر قائمة على العطاء والجود والكرم دون انتظار لمقابل ، وقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده بأنهم لم يصيبهم فقر أو جوع بسبب الكرم والبذل والعطاء .

" والذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ".

" ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين ".

والخلاصة..... خاتمة

نحو تربية اقتصادية للطفولة العربية:

حيث ان الواقع الاجتماعى العربى يشهد حاليا صورا عديدة لسلوكيات خاطئة ترتبط بالانتاج والاستهلاك (قوام عملية الاقصاد والتكامل الاقتصادى) تعكس قصورا فى نمط التربية والتعليم من حيث مسئوليتهما عن تربية اقتصادية توجه سلوك الفرد توجيها صحيحا فى التعامل الاقتصادى خاصة ما يتعلق بالانتاج والاستهلاك فى كافة مناحى الحياة .تصبح عملية البحث عن تربية اقتصادية للطفولة العربية عملية فى غاية الأهمية

إن هذه السلوكيات الضارة بالاقتصاد العربى تعكس الافتقار إلى تربية اقتصادية بصفة عامة ( و / أو ) تربية اقتصادية إسلامية خاصة إذا ما اتضح لنا أن " التعليم العربى مازال يعد الأفراد للإنتاج بمتوالية عددية ، ويعدهم للاستهلاك بمتوالية هندسية " هذا ما ذهب إليه أحد علماء التربية المتخصصين فى دراسات اقتصاديات التعليم واجتماعيات التربية( حامد مصطفى عمار)

ومن المحاولات الجادة والهامة فى تعريف التربية الاقتصادية ، تلك المحاولة التى قام بها ( عبود ، ١٩٩٢ ) فى مؤلفه ( التربية الاقتصادية فى الإسلام ) فقد عرف التربية الاقتصادية بأنها :" توجيه نمو الفرد الإنسانى وجهة ترتضيها الجماعة ويتعارف عليها الناس ويقرها النظام السائد ، فى التعامل الاقتصادى للأفراد ، خاصة فيما يتعلق بجانبى الإنتاج والاستهلاك، بوصفهما الركيزة الأساسية للحياة الاقتصادية للأفراد والمجتمعات ، منذ بداية حياة الإنسان على هذه الأرض "

ويعكس مفهوم التربية الاقتصادية فى الإسلام ، العديد من المعانى والمبادئ والقيم التالية :

- الانتماء ، فالفرد المسلم المنتمى للأسرة والجماعة والدولة والأمة سوف يحافظ على الممتلكات الخاصة والعامة وسيحفظ أمن الوطن وسلامته .
- التعاون والتكافل بين بنى البشر من أجل تحسين أحوال البشر .
- الإنفاق بدون تبذير ولا تقتير فيما يفيد المجتمع المسلم .
- السعى للعمل والقيام به على خير وجه والدقة فيه وإتقانه .
- الإنتاج والمزيد من الإنتاج مع مراعاة جانبى الكم والكيف .
- الإدخار والاستثمار فيما يفيد الفرد والجماعة دون إمساك للمال وحبسه عن الغير .
- استغلال وقت الفراغ فيما يفيد الإنسان دون لهو أو عبث .
- حفظ الصحة والعقل والدين .
- حفظ البيئة ونظافتها وتنميتها لتعود بالنفع على الإنسان .
- الوعى بقيمة الأشياء ماديا ومعنويا .
- الصدق والصراحة فى القول والعمل والتعامل مع الناس .
- السلوك المنضبط القويم الذى يحفظ حياة الفرد والمجتمع .
- حسن الاختيار التعليمى والتوجيه التربوى والإرشاد النفسى حتى تستقيم حياة الإنسان المهنية مع قدراته وإمكاناته ورغباته ليكون أكثر اتزانا وأعظم إنتاجا وأفضل استهلاكا وأسعد وجدانا .

وما أحوجنا الى أن نغرس هذه المعانى والمبادىء والقيم الاسلامية فى نفوس الناشئة من أبناء الأمة العربية والاسلامية، فى وقتنا الحاضر ، حيث أنها –ولاشك– سوف يكون لها الأثر الكبير فى تربية اقتصادية اسلامية تساعد الأسرة فى القيام بوظائفها الاقتصادية فى المراحل الأولى من التكوين فى مجالات الاستهلاك،والادخار، والانتاج

**المصادر**


١) حسين حسين شحاته : القيم التربوية والضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكى الاسلامى، فى ندوة التربية الاقتصادية والانمائية فى الاسلام ، القاهرة،مركز الدراسات المعرفية ومركز صالح كامل بجامعة الأزهر،٢٧–٢٨ يوليو ٢٠٠٢

٢) زيد بن محمد الرمانى : أسس التنمية فى الإسلام ، مجلة الأزهر ، الجزء (٨) السنة (٧٣) ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، نوفمبر ٢٠٠٠ .

٣) عبد الرحمن النقيب : أولوية الإصلاح التربوى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار النشر للجامعات ، ١٩٩٧ ،
٤) عبد الغنى عبود : التربية الاقتصادية فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، القاهرة، النهضة المصرية ، ١٩٩٢ ،
٥) فيصل بن على الزبيدى: أثر التنشئة الأسرية على شخصية الطفل ، مجلة كلية التربية بدمياط،جامعة المنصورة ، العدد٤٨، يوليو٢٠٠٥
6 )محمد شوقى الفنجرى : الحرية الاقتصادية فى الإسلام ، مجلة الأزهر، الجزء (١) ، السنة (٧٣ ) القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، إبريل ٢٠٠٠.
7)محمد عبد العليم مرسى : فى الأصول الإسلامية للتربية ، الجزء الأول، الإسكندرية ، المكتبة الجامعية ، ٢٠٠٠

8) محمد عبد المنعم عفر : المتطلبات الاقتصادية لتحقيق مقاصد الشريعة فى اقتصاد إسلامى ، الطبعة الأولى ، السعودية ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٩٩١
9) مهنى محمد ابراهيم غنايم : نماذج وحالات حول التربية الاقتصادية وآثارها، ضمن بحوث ندوة التربية الاقتصادية والانمائية فى الاسلام ، مرجع سابق .